15

سجـــادة

إذا أردت القرب منه، وحَدَا بك الشوق إليه، وأخذ الحنين منك كل مأخذ... فاهرع إليه، واسجد واقترب..

وعندما تذهب بك الدنيا بعيدًا، وتنغمس في مشاغلها وزخرفها، فانفض يديك منها، واسجد واقترب..

وكلما ضاقت بك السبل، وادلهمّت الخطوب، وكثرت المحن، وأردت المخرج منها والخلاص، فالجأ إليه، واسجد واقترب..

ومتى ظهرت الفتن، وتشعبت بك الطرق، وأحاطت بك الشكوك وطاردتك الشهوات والشُّبَه، فاعتصم بالله، واسجد واقترب..

لا تكن كإبليس اللعين حين رفض السجود وعصى أمر مولاه، وأعطى لأتباعه أمره بعدم السجود لله، واسجد أنت واقترب..

في ظلام الليل ووحشته لا وحشة.. وفي نومة القبر ووحدته لا وحدة.. وفي فزع يوم الفزع لا فزع.. وعندما يخاف الناس لا خوف.. ما دمتَ تسجد وتقترب.

إن السجود لله تعالى هو غاية التكريم للإنسان حيث القرب في المناجاة، والذل في العبودية، والخضوع في الانقياد، وكسر الأنفة والكبر والإعجاب في إلصاق الأنف بالتراب.. وقد كان المشركون المستكبرون يأنفون من السجود فكان بعضهم يأخذ كفًا من حصى فيرفعه إلى جبهته ويكتفي بذلك عن السجود! أما سيد الخلق وأكرمهم عليه الصلاة والسلام فقد قال الله تعالى له: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:19] ..

فالسجود هو غاية القرب من الله، كما قال رسول الله ﷺ: **"إن أقرب ما يكون العبد من ربه أن يكون ساجدًا"**(1) .

والسجود صفة لازمة لعباد الله تعالى، فهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:112] .

ومن السجود اشتقت (**السجّادة**).. وهي صيغة مبالغة لكثرة السجود عليها، ومنه أيضًا كان **"المسجد"** وهو مكان السجود، وقد جعل الله لنا الأرض مسجدًا وطهورًا.

والسجادة هي الخُمرة ، والخمرة كانت تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط، وقد ثبت فيما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ صلّى على خُمرة، وهي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات. أما ما أحدثه الناس في هذه الأيام من زخرفة للسجادة فهو غير مستحب حيث أنه يلهي ويشغل المصلي ويقلل من خشوعه في الصلاة.

على هذه السجادة نسجد لله تعالى طاعة وعبادة، وخضوعًا وذلاً وإنابة، نطلب من الله الفضل والزيادة، وهذه صفة هذه الأمة التي اصطفاها الله تعالى على سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح:29].

وعلى هذه السجادة تعنو الجباه لخالق الموت والحياة، فتحيا القلوب بذكر الله، وتُرفع الدرجات وتُحط السيئات، كما جاء في الحديث الشريف: **"ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة"**(2) ، وعليها يكون

(1) رواه مسلم .
(2) رواه ابن ماجه .

الساجد من أهل الشفاعة ومن مرافقي رسول الله ﷺ في الجنة، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: **"أعنّي بكثرة السجود"** (1). لذا كان الصحابة والتابعون وصالحو المؤمنين يحبون السجود ويحرصون عليه، ويكثرون منه، حتى أن علي بن عبد الله بن عباس كان يسجد لله في كل يوم ألف سجدة حتى أسماه الناس السَّجَّاد!

وكان " سعيد بن جبير "يقول : ما آسَى على شيء في الدنيا إلا على السجود.

والسجود فيه إغاظة للشيطان وإحباط لكيده ومكره فقد روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار"** (2) .

وكما تذكرنا السجادة بالسجود فإنها تذكرنا أيضًا بنعم الله وبالقرآن، فهناك سجدة التلاوة، وسجدة الشكر، وسجدة الصلاة، وغير ذلك من السجدات. ولما كان السجود هو غاية القرب من الله تعالى فقد جعله ركنًا من أركان الصلاة المفروضة فلا تقبل بغيره،وكانت الصلاة تبعًا لذلك القرب مفتاحَ الراحة والسكينة للنفس، وكلما أراد الإنسان أن يقترب سارع وفتح الباب فإذا هو ساجد مقترب! قال **بكر بن عبد الله** : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت، قيل: وكيف ذلك؟

قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان.

ينبغي لمن يقف أمام الله على هذه السجادة أن يقف خاشعًا، وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، وإذا خشع القلب تبعته في الخشوع بقية الجوارح، وفي الحديث:**"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح**

(1) رواه مسلم .

(2) رواه مسلم .

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1] . وهو من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:1:2]. وأصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان أعرف فهو له أخشع، أما من خشعت جوارحه وقلبه غافل فإن ذلك ليس بخشوع، وقد نظر عمر ﷺ إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا، ارفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من قسوة القلب فيقول: **"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع"** [2] . وأخبرنا أن الخشوع هو أول ما يرفع من هذه الأمة فقال: **"أول ما يرفع من الناس الخشوع "** [3] . ولأن الخشوع يحتاج إلى مجاهدة فقد رغبنا رسول الله ﷺ فيه فقال: **"من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه"** [4] .

وبين أهميته فقال:

"إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها"[5]. فحث على حضور القلب وخشوعه فيها، ولذلك قال ابن عباس ﷺ: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ.

ورغم كل ما قلناه في فضل السجود وضرورة الخشوع إلا أن الدنيا سلبت معظمنا حلاوة الطاعات ولذة الخشوع في الصلوات، وقد يسجد المرء في صلاته بلا اطمئنان وينقرها نقر الغراب، فهلا علمنا أن الصلاة التي تستوفي حقها من الخشوع وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هي التي يقبلها الله، فأخذنا بأسباب

(1) رواه مسلم .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه أحمد .
(4) أخرجه ابن شيبه .
(5) رواه النسائي .

الخشوع من الاستعداد للصلاة قبلها بوقت وتفريغ القلب من مشاغل الدنيا ووساوس الشيطان واللجوء إلى الله تعالى ليعصمنا من الغفلة. وهل نتذكر ما قاله حاتم حين سئل كيف تصلي؟ فقال: أقوم بالأمر وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع علي نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت.

فإذا رأيت السجادة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:98] ، وانضم إلى قافلة عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:64] فإن كنت منهم فأنت من أصحاب الغرف الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:75] ، وإن أصابتك النار بذنوبك فاعلم أن سجودك في الدنيا نجاة لك في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: **"إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود"** (1) .

فعلى السجادة يطهر المرء وتصفو نفسه وتنتهي عن الشر، فيصلي صلاة العابدين الخاشعين، ويسجد سجود الطائعين المتذللين، فيصعد إلى الله الدعاء ويحصل القرب منه والصفاء، فاستعن بالله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق:19] وقل من أعماق قلبك كما قال رسولنا الكريم ﷺ: **"اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين"** (2) .

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه مسلم .

16

سَـــرير

إنه أول ما تبحث عنه العروس حين تذهب لشراء أثاث البيت، وعادة ما تحرص على اختياره بنفسها، إذ أنه يرمز إليها ويعني أشياء كثيرة بالنسبة لها.. إنه سرير النوم.. ذلك الذي يفرق بين حياة مضتْ وحياة جديدة ستأتي.. بين حياة الوحدة وحياة الأنس.. بين حياة الفراغ العاطفي وحياة المودة والرحمة.. إنه إذن سرير الحبّ الحلال إن صحّ لنا أن نسميه بهذا الاسم مجازًا..

فوق هذا السرير سوف يمتزج الزوجان أحدهما بالآخر، وسيكون كل منهما لصاحبه غطاء ، ولأدوائه شفاء، وسيصيران جسدًا واحدًا وقلبًا واحدًا.. فوق هذا السرير سوف تكفَّر الذنوب وتغفَر، بالنظرة الرحيمة الصافية، واللمسة الرقيقة الحانية! قال رسول الله ﷺ: **"إن الرجل إذا نظر إلى امرأته، ونظرت إليه، نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما"**[1] .

وعلى عتبات هذا السرير سيصعد الزوجان إلى مقام رفيع وعبادة راقية بعيدًا عن حياة الرذيلة والفاحشة، ففي الحديث الشريف: **"من أماثل أعمالكم إتيان الحلال"** [2] ، وسيكون كل منهما لباسًا لصاحبه خاصًا به طاهرًا جميلاً مناسبًا لذوقه وإرادته.. ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة:187] ، وسينبذ كل منهما ما يضرّ بتلك العلاقة من تطلع للغير أو إطلاق للبصر في غير حلّه، بما يتحقق لهما

(1) أخرجه ميسرة بن علي في مشيخته وصححه السيوطي – الجامع الصغير .
(2) رواه أحمد .

من عفة وإحصان، وسيتربعان فوق عرش الزوجية يتوّج جبين كل منهما تاج المحبة تحرسهما عين الرحمن التي لا تنام.

نعم.. إنه يشارك في إيجاد وصنع أمّة، ولمَ لا ونحن نلجأ إلى الله داعين: **"اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا"**.. ورسولنا ﷺ يقول: **"تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"** [1].

كان سرير السيدة عائشة رضي الله عنها من خشبات مشدودة بحبال من ليف، عليه وسادة من جلد حشوها ليف، كان سريرًا بسيطًا لكنه كان أفضل الأسرّة فقد كانت صاحبته أحب النساء إلى قلب الرسول ﷺ ، وكان كل من الحب والرحمة يسكن تلك القلوب التقية النقية التي تنام عليه، فكم من نائم على سريره الفخم بغطائه الوثير وهو يتقلب كما تتقلب الورقة في مهب الريح، تهجم عليه قافلة الأرق والقلق ولا يغني عنه سريره شيئًا!

وكم من نائم ملء جفنيه لا يحس بمن حواليه قد هجم الشيطان عليه، وبال في أذنيه، والله تعالى غاضب عليه، والعباد والدواب تمقته وتلعنه وهو غافل لاهٍ عن ظلمه لنفسه ولعباد الله، غافل عن مولاه.. فهل هذا يكون نومًا؟!

كلنا يحرص على أن يرتاح في نومه على سريره، لكن راحتنا هذه مرتبطة ارتباطًا كبيرًا براحة البال والضمير والنفس.. انظر إلى سيدنا عمر رضي الله عنه حين اتخذ من الأرض تحت الشجرة سريرًا يقيل عليه، ومن ظلها غطاء يلتحف به ونام آمنا قرير العين، وصدق من قال فيه (**عدلت فأمنت فنمت**).. إنها النفوس المطمئنة التي نامت عن الشر والظلم فارتاحت وأراحت .

وجود السرير يذكّرنا بالنوم، والنوم نعمة عظيمة من الله تعالى، لو سُلبها أحد لجُنَّ ولما ذاق طعم الحياة الطيبة، وقد جعل الله الليل والنهار آيتين وجعل لكل منهما وظيفته، فلا يجدر بنا أن نقلب الليل نهارًا بالسهر الطويل، ولا النهار ليلاً

(1) رواه البيهقي .

بالنوم والكسل.. قال الله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:73] .. على أنه من المؤسف حقًا أن يقضي بعض الناس الليل في لغو وسهر ولهو مما يضيع عليهم كثيرًا من الخير، أما عباد الله الصالحون فهم ينامون من الليل لكنهم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السجدة:16]..

وهم كذلك: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:64] .. وسرير الزوجية له نصيب من ذلك الشرف العظيم، فعليه نامت أنفس تتعاون على طاعة الله تعالى. كما قال رسول الله ﷺ: **"رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت،فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء"** [1].. إنه سرير يشهد دعوة الخير والبر والطاعة، ويحمل معان وذكريات جميلة.

سرير المرض: إن دوام الحال ليس من سمات هذه الدنيا فكما يمر الإنسان بساعات الفرح تأتي عليه ساعات من الحزن، وكما يتمتع بالصحة والعافية يبتلى بالمرض فيضطر أن ينام على سرير آخر.. إنه سرير المرض وقد يكون ذلك في المستشفى وقد يكون بالبيت، وهنا تأتيه البشرى على حسن بلائه وصبره، فحوْل هذا السرير تطوف الملائكة، وتُردَّد الدعوات ممتزجة بآهات التضرع والحمد والرضا، وعلى هذا السرير تغفر الذنوب وتحط الخطايا، ففي الحديث: **"إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين، فقال انظرا ماذا يقول لعوّاده، فإن هو إذا ما جاءوه حمد الله، وأثنى عليه، رفعا ذلك إلى الله عز وجل- وهو أعلم- فيقول: لعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته، أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته"** [2] .

(1) رواه أبو داود .

(2) أخرجه الإمام مالك في الموطأ .

سرير الموت: ربما ظن البعض أنه سرير المرض، أو السرير الذي يغسّل الميت عليه، أو سريره في القبر، وكل ذلك يعبر عن معنى سرير الموت، إنه سرير لا بد لكل امرىء أن ينام عليه، فينتقل بالتدريج من سريره الوثير بغرفة نومه إلى سريره الخشبي ذي الثقوب، وذلك حين غسله وهو ميت، ثم إلى سرير آخر حين يوضع في لحده أو قبره حيث التراب والظلام والوحدة وقسوة السرير وصلابته، ثم يستقبله بالضمة.. كما قال النبي ﷺ: **"إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ"**[1] .. ثم يمتحن الامتحان الصعب فإذا ما نجح رأى مقعده من الجنة و**"يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون"** ويقال له : **"نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"**[2] . وإن لم ينجح في امتحانه يقال للأرض: **"التئمي عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك "** [3].. فإذا ما بعث وقام من سرير قبره فله سرير أقسى وأفظع وأشق: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41] .. أي فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار والعياذ بالله، أما أهل الجنة فيكفيك لتعرف حالهم قول الله تعالى في الحديث القدسي: **"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "** [4] .

السرير المتحرك: قال ﷺ: **"إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا فيقول أحدهم لصاحبه أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا"**[5] .

---

(1) رواه أحمد .
(2) صحيح الترمذي .
(3) رواه الترمذي .
(4) رواه البخاري .
(5) رواه البزار .

فاختر لنفسك أي مضجع تحب وترغب.. وأي سرير تشتري وتدفع.. وتذكّر كل ذلك حين تذهب لتنام على سريرك اللين المريح، وإذا ما أخذت مضجعك عليه فسمّ الله وقل كما قال نبينا ﷺ: **"اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتّها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية"** [1].

(1) رواه مسلم .

17

سُـفرة "مائدة الطعام"

كانت فيما قبل محلها الأرض أو قريبًا منها، لكنها كانت ملتقى الأحبة من الأهل والإخوان، ومجتمع الأسرة من أب وأم، وجدّ وجدة، وأبناء وبنات، لِربّ البيت حولها معهم لقاءات وقصص وحكايات، يوم أن كان الجميع يجتمعون كل يوم في ساعة واحدة لتناول الطعام خاصة طعام الغداء، ويسيغونه بطيب الحديث وحلو الكلام، وكذلك في الاجتماع العائلى الكبير يوم الجمعة من كل أسبوع يتحلقون حولها في جوّ أشبه بجوّ العيد!

وكانت خير سفرة ولا زالت سفرة رسول الله ﷺ التي كانت توضع على الأرض!

أما الآن فإننا نمتلك سفرة راقية دخلت هي الأخرى عالم الأزياء والموديلات -أزياء الأثاث والبيوت- تصنع من أفخر الخامات، وتدخل عالم الزخرفة التي تجعل منها قطعة أثاث غاية في الجمال، وصار لها غرفة خاصة بها، مما يدفع أهل العروسين للسعي كدحًا ليحصلوا على تلك التحفة الغالية وإحضارها لهما حتى يسايروا جميعًا العصر الذي يعيشون فيه كما يقولون، ولو لم يملكوا ثمنها! ولو كان البيت ضيقًا! ولو لم يأكلوا عليها! المهم أن يوجد بالبيت سفرة بمفهومنا العصري مع ما يلزمها من مقاعد ومفارش وديكور.. وهذا وإن كان مباحـًا إلا أنه يكره إذا جرّ إلى الاستدانة والتقليد وتحميل النفس فوق ما تملك، أو كان حبًا للدنيا وغاية لا وسيلة في الحياة. وهنا نتساءل: لماذا لا يبدأ العروسان صعود درجات السلّم

من أوله درجة درجة إن صعب عليهم ارتقاؤه مرة واحدة، فإن ذلك أدعى للثبات والإحساس بالنعمة عند الحصول عليها بعرق الجبين؟!

تأتي السفرة وتحلّ بالدار معززة مكرمة لكنها هي الأخري لا يعجبها تغير الأحوال وتقلب الأيام وتشتاق لتلك الأزمان الخوالي حين كان الوقت مقسمًا بين الحقوق والواجبات، وبين الأهل والصحاب، قبل أن تغزو بيوتنا موضة الأكل في المطاعم، و تحل علينا فكرة الوجبات السريعة التي إن لم تذهب إليها أنت جاءت هي إليك.. ونظرًا لاختلاف ساعات العمل عن ذي قبل وطولها، وعدم اجتماع شمل الأسرة في وقت واحد، فهذا في المدرسة وذاك في الجامعة وقد أكل في الخارج وهؤلاء في الدروس الخاصة، والأم قد تأتي من عملها مرهقة هي الأخرى، نجد أنفسنا أمام هذه الصورة حيث يدق باب البيت دقات خفيفة.. يُفتَح الباب ليظهر من خلفه من يمدّ يده إليك بشيء أنت بالتأكيد تعرفه، فقد امتدت يداك إلى جيب سترتك في الحال لتخرج المطلوب الذي يأخذه الواقف بالباب ثم ينصرف، وبالطبع فليست كل البيوت هكذا، وإنما هناك صور أخرى، فحين تشتكي بعض مطابخنا قطيعة أربابها يعاني بعضها الآخر من التخمة! وبينما تفيض بعض موائدنا وتملّ لكثرة من حولها طول الوقت، يشكو بقيتها قلة الرواد وانقطاعهم عنها، ونحن في كلا الحالين نحتاج إلى الاعتدال والوسطية. وهذه صور تتكرر للأسف في كثير من البيوتات خاصة تلك التي أنعم الله عليها بنعمة المال والقدرة على شراء ما تريد وصنع ما تحب وترغب، وتتكرر الصورة مرات كثيرة ومتتابعة وإن اختلفت في شكلها، وسواء سعيت إليها أم سعت إليك فالنتيجة واحدة.. وجبات جاهزة وسريعة مِن أو في المطعم.. توصيل للبيوت.. إسراف في الإنفاق.. إهمال للمطبخ.. هجر للسفرة.. عدم إجادة بعض الزوجات والبنات طرق الطبخ.. الحرمان في أوقات كثيرة من الاجتماع الأُسَري على سفرة الطعام وربما أكل بعض الأولاد في غرفهم أمام شاشات التلفاز! وبالتالي قد نفقد

أعز ما نملك في محيط الأسرة ونفتخر به على سائر المجتمعات، ألا وهو الجو الدافيء العام، والترابط والألفة والوئام، والحب المتبادل بين أفرادها والاحترام، إلى جانب الإحساس بوجود روح الجماعة في كل عائلة فليس الغرض من التفاف الأسرة حول المائدة هو الأكل ذاته فالطعام ليس هدفًا وغاية إنما هو وسيلة للعيش بصحة وسلام وفق هدي الله ورسوله ﷺ ، وإننا حين نجلس معًا على سفرة واحدة نحقق السنة النبوية وتحل البركة، وقد كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده وكان يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام. وقد جاء جماعة يشكون إليه أنهم يأكلون ولا يشبعون، فقال لهم: **"فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه"**[1] .

وفي جلوس الوالدين مع الأطفال تعليم لهم وتدريب على آداب الطعام والشراب ودرس عملي تربوي بالقدوة التي يقدمها كل منهما لأبنائه، وانظر إلى المعلم الأول ﷺ فقد كان عمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه - غلامًا صغيرًا تربى عنده، وذات يوم جلس يأكل مع النبي ﷺ ، فكان لا يأكل من أمامه، ولا يتأدب بآداب الطعام، فقال له: **"يا غلام سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُل مما يليك"**[2] .

لذا فإن كل من يجلس على السفرة عليه أن يتعلم فقه المائدة ويتأدب بآداب الأكل: من النية، وغسل اليدين، والتسمية، والتفكر في نعم الله علينا، وأكل ما أحلّه لنا، والاعتدال وعدم الإسراف، وألا يعيب طعامًا، وأن يجلس بتواضع غير متكيء، ولا يستخدم أواني الذهب والفضة في طعامه أو شرابه، ويأكل من جانب الطعام مما يليه، ويحمد الله تعالى عقب الأكل، ثم بعد ذلك كله فليتفكر في أحوالنا مع تلك السفرة التي تذكرنا بالسفر، فحين نضع عليها زادنا نتزود منه إلى ما شاء الله لسفرنا في الدنيا، وكما أن غذاء البدن بالطعام لازم لبقائه وحياته فغذاء الروح

(1) رواه أبو داود .
(2) متفق عليه .

بالإيمان والذكر مطلوب لسفر الآخرة، وهو دائم البقاء وينفع في الدارين، فلنتزود منه ونستزد. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:197].

والجلوس على المائدة بنية التقوّي على العبادة بالأكل وطاعتك لله تعالى يؤهلك برحمته وحده سبحانه للجلوس على مائدة الخلد ضيفًا مكرمًا على الله الكريم، فقد جاء في الحديث الشريف قول النبي ﷺ: **"إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد، قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد" ؟**

قال: **"زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب" فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا فيتجلى لهم فيخرون سجدًا فيقال لهم لستم في دار عمل أنتم في دار جزاء"** [1] .

(1) رواه أبو نعيم في حليته .

18

سِـوَاك

دعانا نبي الله عليه الصلاة والسلام إلى استخدامه وحثنا على الاعتناء بسلامة أسناننا وصحتها وجمالها، والحرص على تطييب رائحة أفواهنا وذلك بالمداومة على استعماله.

والسواك من سنن الفطرة كما جاء في الحديث النبوي الشريف: **"عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك...."** [1] . وهو كذلك سنة مؤكدة في الوضوء وعند كل صلاة لقول النبي ﷺ: **"لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "**[2] .

استبدل معظم الناس اليوم السواك بفرشاة الأسنان الصناعية المعروفة التي لم تستخدم إلا من مائتي عام فقط، بينما كان للمسلمين فضل السبق في معرفة أهمية الصحة العامة للأسنان وضرورة الحفاظ على نظافتها منذ علّمهم رسول الله ﷺ استخدام السواك منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، تعبدًا لله تعالى واتباعًا لنبيه ﷺ.

اِرتقى السواك سلّم المجد والرفعة، وتقلدَ وسام الكرامة والعزة منذ استخدمه خير البرية ﷺ ، وحين أوصاه به الروح الأمين فصار مرضاة لله عز وجل. كما جاء في الحديث الشريف: **"تسوّكوا فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عليّ وعلى أمتي"**[3] .

---

(1) رواه مسلم .
(2) رواه البخاري .
(3) رواه ابن ماجه .

وإذا كان الإسلام يحثنا على نظافة الأسنان بالسواك وتطييب رائحة الفم بالاستياك فإنه يؤكد علينا ضرورة تطييب الكلام الذي يخرج من ذلك الفم وتطهيره حين يخترق تلك الحواجز العظمية التي تشكل قيدًا وسجنًا للسان إذا ما تزلجت الكلمات على سطحه فانكشف بها مكنون النفس ومستقر القلب. يقول يحيى بن معاذ: **(القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض وعذب وأجاج، وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه)**.

مَن طيّبَ فمه ونظف أسنانه بالسواك فلينظر إلى الطعام الذي تستقبله تلك الأسنان بشوق يجعلها تمزقه حُبًّا وتطحنه أكلاً، هل هو من حلال طيب أم من حرام خبيث، فإن من حقها عليك أن لا تستخدمها في معصية الله عز وجل وألا تلوثها بأكل الحرام.

ومَن زيّن فمه بنظافة أسنانه وحافظ على بريقها ومظهرها الجميل فليحرص على إظهارها للناس ببسمة طيبة تكون له عند الله صدقة، وفي قلوبهم حبًّا وودًّا، ولا يؤذيهم بإهمال نظافتها أو بتناول ما يغير من نصاعتها كشرب الدخان والشيشة -والذي فيه ضرر كبير على الصحة- فتنبعث مع حديثه وتنفسه وهواء شهيقه الروائح الكريهة التي تؤذي من يقترب منه ولا سيما زوجته شريكته في بيته ومضجعه التي هي أوْلى الناس بحسن ريحه وجمال مظهره ودوام بسمته، وقد نهى النبي ﷺ من أراد أن يجلس مع الناس أو يذهب إلى المسجد أن يأكل ما له رائحة كريهة تؤذي إخوانه عند الاختلاط بهم ولو كان طعامًا مباحًا فقال: **"من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته"**[1].

يستحب السواك في جميع الأوقات ويتأكد استحبابه عند تغير رائحة الفم، وإن كان المرء صائمًا فله كذلك استخدام السواك مع أن الرسول ﷺ يقسِم ويقول:

(1) متفق عليه .

"والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك"[1] . فتغير رائحة فم الصائم كانت بطاعة الصيام ولم تكن لتناول دخان أو غيره، ومع ذلك فقد كان رسول الله ﷺ **"يتسوك وهو صائم"** [2] . وكان- عليه السلام- **" إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك"** [3] ، كما يستحب أيضًا عند الذكر وقراءة القرآن ومناجاة الرحمن.

والسواك فيه إعجاز يدل على صدق النبوة وصاحبها – عليه السلام- الذي لا ينطق عن الهوى. فالمادة الموجودة في شجر الأراك المستخرج منه السواك-كما ثبت علمياً- هي أفضل مادة تعمل على تطهير الفم وتنظيف الأسنان وتبييضها ومنع تسوسها والحفاظ على سلامة اللثة، ولا يوجد مادة أخرى تعادلها، وإن كانت فرشاة اليوم والمعجون الخاص بالأسنان قد حلا محلّ السواك إلا أن ذلك لا يعني أنهما أكثر فاعلية وأفضل نتيجة منه،وهذه دعوة تضاف إلى ما سبقها من دعوات للعودة إلى العمل بالسنة والاستفادة من خيرات الله الطبيعية بالرجوع إلى الطبيعة.

وقد ذكر الإمام **ابن القيم** عن مزايا السواك أنه يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مخارج الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات.

هذا بعض ما ظهر من عجائب السواك، وماخفى كان أعظم .

(1) رواه مسلم .
(2) رواه الترمذي .
(3) متفق عليه .

19
شمعدان (حامل الشموع)

من اسمه تعرفه، ومن شكله تحفظه، ومن الدموع التي تسيل مِن فِيه تميزه، فهو

الحامل للشموع التي تنير الطريق للآخرين، وهو رمز للنور بعد الظلام، وعلامة على التضحية والإيثار، وكم في حياتنا من شموع تضيء للناس وهي تحترق! وكم في الدنيا من أناس أنكروا ذواتهم في سبيل تحقيق الخير لغيرهم، راضية بذلك نفوسهم، قريرة به عيونهم، ينتظرون الأجر والثواب من الله تعالى وحده، ولسان الحال يقول: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9].

إن الدموع التي تسيل من عَيْن الشموع لتذكرنا بتلك الدموع الغالية التي سالت من خشية الله، حين وجدتْ حرارة الإيمان تلامس قلوبها فاحترقت شوقًا لمولاها وبكت خشية منه ورجاء ورغبة لما عنده، لذلك فقد جعل الله لهذه الأعين الباكية التي احترقت بتلك الدموع الحارة أمانًا من ناره ووقاية من عذابه فلا يجمع عليها خوفين، وقد قال رسول الله ﷺ: **"لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع"**[1].

والشمعدان يذكرنا كذلك بما أحدثه بعض الناس من إدخال شموعه في مناسبات مختلفة كالاحتفال بالمولود، أو في حفلات الزواج، وفي أيام الميلاد التي ألبسوها لباس العيد، فتجد المرء منهم يقول لك غدًا عيد ميلادي أو عيد ميلاد

(1) رواه الترمذي.

ابني، وكذلك ما يُسمّى بعيد الزواج، وما ذلك بِعيد، فلا يوم الميلاد عيد ولا يوم الزواج، وإن كان ذلك مناسبة طيبة تستحق منا الشكر لله المنعم دون أن نسميها عيدًا، و لم يجعل الله تعالى لنا سوى عيدي الفطر والأضحى، ويوم الجمعة.

بَيْد أن الشمعدان لو تكلم إلينا لقال لنا بدموعه الكثير من الكلمات، ولـذكّرنا بالمواقف الحميدة لبعض الأحبـاب الـذين نـدين لهـم بـالود والمحبـة والتقـدير والاحترام ، بل لهم علينا البرّ والوفاء. وأنت حين تنظر إليه ودموعه تـسيل عـلى خدّيه ترى من خلال دموعه دموع الكثير من الآباء والأمهات الذين قضوا شطر أعمارهم وطيلة أوقاتهم في سبيل إسعاد بنيهم وبنـاتهم، فـسهروا عـلى راحـتهم، وجاعوا ليطعموهم، وتعبوا ليسدوا فاقتهم، وليغنوهم عن ذل الحاجة إلى الناس، ولا عجب إن رأيتهم يتفنّنون في كيفية إدخال البسمة على شفاههم وهم يتفـانون في ذلك وهم سعداء تمامًا كتلك الشموع التي ينقضي عمرهـا ويـذهب وهـي لا تفتأ تضيء لمن حولها الطريق وهي تحترق!، لذا فقد وصى الله تعالى الأبناء من بنين وبنات ببر الوالدَين والاعتراف بفضلهما والـدعاء لهـما وعـدم التـأفف مـنهما أو الضجر عند كبرهما ردًّا لبعض الجميل ومجازاة للإحسان بمثله، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: 23- 24]

نعم أيها الأبناء.. فالأم والأب هما عطر هذه الحياة وبدونهما تكون الحياة سرابًا.. وأمّك هي النغمة المحببة التي لا تملّها النفوس، ويترنّم بها الصغير والكبير مرددًا إياها كلما غدا أو راح، ولا يهدأ له بال حتى تتكحل عيناه بطلعتها البهية التي لها حلاوة في نفسه لا تقلّ عن حلاوة الطعام والشراب، فلا يغمض له جفن إلا على هدهدتها، ولا يستقر له وجدان إلا في أحضانها.. هي حُبّ لا يعادله حب بعد حب الله ورسوله، حب يقود المرء إلى نعيم سرمدي لا ينتهي لأن رضاها من رضا الإله..

بدونها تتحول الحياة إلى ما يشبه السراب.. ولمَ لا وعطاؤها عطاء من نوع خاص لا يشاركها فيه أحد من الناس، عطاء حباها الله به وحدها دون غيرها.. وهي ينبوع المحبة فلا يعرف الُكرْهُ طريقًا إلى قلبها تجاه فلذات أكبادها.. تراها واحة خضراء وسط صحراء الحياة، وسرًّا من أسرار وجودنا على هذه الأرض، وقد كرمها الله تعالى في كتابه الخالد المنزل من فوق سبع سماوات، ووصى بها رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، لذا فإن من أكرمها من أولادها نال الخيرات وارتفع وارتقى أعلى الدرجات، ورزقه الله في حياته تكريمًا وبرًا من الأولاد والبنات، ومن أهانها أهانه الله ومقته وغضب عليه إذ ارتكب بعقوقها المحظورات..

إنها نسمة في الظهيرة.. دفء ساعة قشعريرة.. حب فوق العشيرة..
حبها يبدّد برد الشتاء.. قربُها بلسم ودواء.. صحبتها ذكر وصفاء..
في صباح نراها أو مساء.. هي دوْما لنا ريّ وماء..
نجمة هي في المساء.. قمر هي في السماء.. شمس هي وهواء.

نعم.. إنها الأم الحانية.. فرفقًا بها أيها الأبناء.. ورفقًا بها أيتها البنات.. اعرفوا لها قدرها.. لا ترفعوا الصوت عليها ولا تنهروها ولا تستهينوا بفضلها وفضل برها فهو عند الله عظيم.. قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:23]. وقال رسول الله ﷺ: **"إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات"**[1].

أما أبي وأبوك أيها الإنسان.. فأبوّتهما في مقام عال رفيع.. والأبوّة.. تلك النفحة الربانية، والعطيّة الإلهية، والنعمة المرضية.. إنها عطاء بلا حدود، وتضحية دون مقابل إلا من رب الوجود.. هي النهر المتدفق بالحب والوداد، والجود والإيثار.. والأب الكريم هو بطل هذه المعاني وهذه الكلمات.. ولمَ لا وهو يكدّ ويتعب لنرتاح ونسعد، ويسهر لننام! ويعطي لنأخذ! فما أعظمه وما أرحمه وأكرمه.

نعم.. فأنت يا أبتاه لولاك-بعد الله- ما جئنا لهذه الحياة.. وأنت يا أبتاه مصباح ينير لنا طريق النجاح، وأنت يا أبتاه شموع وسط ظلام الحياة تنير لنا طريق

(1) رواه البخاري .

النجاة.. شموع تضيء ولو بالدموع والاحتراق!

حق لك علينا أمام الله البرّ والطاعة، والدعاء بضراعة.. لأنك باب من أبواب الجنة عظيم، فتحه الله للأبناء البررة.

قال رسول الله ﷺ: **"الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فحافظ على الباب أو ضيّع"** (1).

وما أنصفك ابنٌ جعلك ندًا له فعاملك بجفاء، أو رفع صوته عليك، أو استعلى واستكبر، أو بخل وأدبر، وإذا ما بلغتَ من الكبر عتيًّا لم يكن لك ولدًا مرضيًا، ونسي فضلك عليه أو تناساه، وظن أن ذكاءه قد وصل منتهاه، وهو في الحقيقة عاقّ جحود سينال عاقبة جحوده في دنياه قبل أخراه.. كما قال رسول الله ﷺ: **"اثنان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق"**(2).

وما أنصفوك يا أبتاه حين أخرجوك، وفي دور المسنين وضعوك أو ألقوك، ومن عطفهم المزيّف حاولوا أن يلبسوك!

وما أنصفوك حين جهلوا حقّ الوالديّة، وأنها درجة عالية غير عاديّة.

فيا أيها الأبناء.. كونوا لآبائكم صالحين بررة.. كونوا لهم العيون إذا ما ضعفت العيون.. وأيديهم إذا ما كلّت الأيدي.. وأرجلهم إذا ما عجزت الأرجل، كونوا آذانهم التي بها يسمعون، كونوا لهم محبين طائعين.. والجزاء من جنس العمل.. قال رسول الله ﷺ: **"بروا آباءكم تبركم أبناؤكم"**(3).

واعلموا أن أحبّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة وقبل الجهاد في سبيل الله برّ الوالدين، فقوموا بالبرّ مختارين محتسبين.. فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: **"الصلاة على وقتها"** قلت: ثم أي؟ قال: **"بر الوالدين"**. قلت: ثم أي؟ قال: **"الجهاد في سبيل الله"** (4).

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه الحاكم .

(3) رواه الطبراني والحاكم .

(4) متفق عليه .